



برنامج دراسة مَنون التوحيد وأصول الإيمان

شرح متن الأصول الستة

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله

١٤٤٠/١/٢١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

فبين أيدينا رسالة قيّمة مختصرة للإمام المجدّد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ جمع فيها أصولاً ستة عظيمة بُيّنت في كتاب الله عزّ وجلّ بياناً وافياً ، ودُكرت لها الدلائل البيّنات والشواهد الواضحات في كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله ؛ بحيث كانت واضحة وضوحاً لا خفاء فيه، وظاهرة ظهوراً لا التباس فيه، ومع ذلك فقد ضلّ فيها أكثر الناس وانحرفوا فيها عن جادة الصواب وعن الطريق السويّة، وقد نصح هذا الإمام رحمه الله بجمعه هذه الرّسالة المشتملة على أصول ستة من أصول هذا الدين المبينة في الكتاب والسنة مشيراً إلى أهمّيّتها وعظم شأنها ومنبّهاً في الوقت نفسه على نوع الانحراف الذي وقع فيه أكثر النّاس فيما يتعلّق بهذه الأصول الستة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من أعجب العجائب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بيّنها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون ، ثم بعد هذا غلط فيه كثير من أذكّاء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل .

الشيخ رحمه الله بدأ هذه الرّسالة بذكر عظم شأن هذه الأصول الستة، وأنها قد بُيّنت في كتاب الله عزّ وجلّ، وبيّنت في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم صلوات الله وسلامه عليه بياناً وافياً، وقد ذكر رحمه الله هذه الأصول وأشار في بداية حديثه عنها أنها أصول ستّة، وذكره رحمه الله لهذا الرّقم في بداية حديثه عن هذه الأصول الستة نوع من الإعانة لطالب العلم على ضبط العلم ، فلو أنه ذكر هذه الأصول نثراً دون إشارة إلى رقم يجمعها ربما ضعف ضبط طالب العلم لها، لكن إذا قرأها طالب العلم وعرف أنها ستّة استجمع ذهنه لضبطها؛ وهذا من هدي النبي في سنته عليه الصلاة والسلام؛ قال: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ))، وقال: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ))، وقال: ((اضْمَنُوا لِي سِتّاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أَوْثَقْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)). فيأتي عنه عليه الصلاة والسلام مثل هذا كثير، فلا يذكر الأمور نثراً وإنما يذكر لها رقم يحويها بحيث تُضبط المسائل المقصود بيانها والأصول

المقصود تقريرها وإيضاحها؛ ولهذا قال رحمه الله ستة أصول.

وقوله (أصول)؛ الأصل: هو ما يُبنى عليه غيره، وهو الأساس لغيره، وهذا تنبيه من المصنّف رحمه الله إلى أنّ هذه من الأصول الكبار والقواعد الجوامع الكلية. ومع أنّها أصول وقواعد إلا أنه قد ضلّ فيها أكثر الناس. وبدأ رحمه الله هذه الرسالة بالتعجب الشديد الذي طرحه رحمه الله متعجبا وطرحه أيضا لطالب العلم ليشركه في التعجب والتأمل في هذا الأمر؛ ولهذا بدأ الرسالة بقوله ((من أعجب العجائب)) أي من أشدّ الأمور إثارة للعجب في الأذهان.

((وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب)) لاحظ الآن نبه على أمرين: نبّه على أنّ الأصول الآتي تقريرها مع مخالفة أكثر الناس لها رغم وضوحها تدلّ على أمر عجيب جدّاً في حال الناس وواقعهم. وتدلّ أيضاً في الوقت نفسه على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى.

((على قدرة الملك الغلاب)) ؛ «الملك» : أي الذي بيده الملك ، المتصرّف في هذا الكون عطاءً ومنعاً، خفضاً ورفعاً، قبضاً وبسطاً، يعزّ ويدلّ، ويخفض ويرفع ، ويعطي ويمنع ، ويهدي ويضلّ. الذي يتأمل هذه الأصول الستة وواقع الناس معها تدله على كمال قدرة الملك الغلاب ؛ «الغلاب» كما قال الله تعالى: {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١] ، غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ : أي حكمه نافذ، لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، يتصرّف في مملكته وفي مخلوقاته كيف شاء، ويدبّرهما تبارك وتعالى كما يريد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل فلا هادي له، {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر: ٢]. فالأمر بيده تبارك وتعالى . ومن الدلائل على أنّ الأمر بيده هذه الأصول الستة واضحة وبيّنة وضوح الشمس، ومع ذلك يضلّ أكثر الناس فيها عن سواء السبيل وينحرفون عن الجادة السويّة؛ فهذا أمر مدعاة للتعجب الشديد، وفي الوقت نفسه فيه دلالة على قدرة الله وكمال ملكه، وأنّه سبحانه وتعالى غالب على أمره، وأن حكمه نافذ وأن الأمور بيده تبارك وتعالى ، يحكم في خلقه بما يشاء ويقضي فيهم بما يريد ، لا معقب لحكمهم ولا راد لقضائه تبارك وتعالى .

قال: ((وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بيّنها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظّانون)) انظر هنا إلى تأكيد المصنّف رحمه الله على وضوح هذه الأصول الستة، ووضوح بيانها في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلى الله عليه و سلم ؛ قال: ((بيّنها الله بياناً واضحاً)) أي جعلها أموراً بيّنة ليست ملتبسة، واضحة أي ظاهرة لكلّ أحد ، ليس فيها خفاء ولا يكثرثها غموض، ولا يلابسها تعقيد، بل هي واضحة ظاهرة في كتاب الله عزّ وجلّ، وكذلك في سنّة نبيّه صلى الله عليه و سلم.

((بياناً واضحاً للعوام)) أي أن وضوح هذه ليس أمراً مختصّاً بأهل العلم أو بالراسخين في العلم بل هي

واضحة للعوام ؛ فضلاً عما هو أرفع منهم وأعلم منهم وأفقه منهم، واضحة للعوام تماماً ((فوق ما يظنه
الظانون)) يعني وضوحها فوق ما قد يُظنّ، قد يظنها الإنسان واضحة لكن وضوحها القوي الظاهر البين
فوق ما يظنه الظانون ، ومتى يظهر هذا المعنى الذي قاله الشيخ رحمه الله؟ عندما يتأمل المسلم أنواع الأدلة
الواردة في الكتاب والسنة في تقرير هذه الأصول ، وأنها أقيمت عليها الحجج البينات بأنواع من الأدلة ؛
بحيث أن هذا البيان لهذه الأصول فوق ما قد يُظنّ ، لا من حيث تنوّع الأدلة، ولا من حيث أيضاً كثرة
عددها.

الأصل الأول الذي سيأتي الحديث عنه قال ابن القيم رحمه الله إن عامة آيات القرآن في تقريره ؛ الذي هو
الإخلاص والتحذير من الشرك قال بل كل آية في القرآن فيها تقرير للتوحيد ، فالشاهد أن هذه الأصول
بينت بيانا واضحا لا خفاء فيه ، ليس هذا البيان لأهل العلم أو للراسخين في العلم بل للعوام بحيث يفهمها
كل من يفهم اللسان العربي الذي أنزل به القرآن الكريم

((ثم بعد هذا كله غلط فيها كثير من أذكى العالم)) أي رغم وضوحها الشديد وبيانها البين وكونها لا
خفاء فيها ولا التباس ؛ مع ذلك كله غلط كثير من أذكى العالم ، هنا قوله: ((غلط فيها)) هنا العجب ،
وهنا ظهور الآية التي قال: ((آيات دالة على قدرة الملك)) ، فهنا العجب ، تعجب غاية العجب عندما
يكون هناك طريق يوصل إلى البلد المقصود، واللوحات الإرشادية للطريق كثيرة جداً، كلّ ما تمشي خطوتين
تجد لوحة إرشادية. طريق مكة وسهم يشير إليه، ثم تمضي والطريق أيضاً تجد السهم يشير، ثم تمضي وتجد
السهم يشير ، ثم في الوقت نفسه تجد كثيراً من الناس يريدون مكة ولكنهم يأخذون ذات اليمين وذات
الشمال يضيعون ويضلون وينحرفون!! هذا أمر في غاية العجب؛ لأنك إذا تأملت وضوح الطريق وكثرة
اللوحات الإرشادية الدالة عليه ثم نظرت أكثر الناس ينحرفون عنه، ثم تتساءل تقول: هل الطريق غير
واضح؟ ستقول لك نفسك: وهل أوضح من هذا؟ هل أزيد من هذا الوضوح؟ ما أمشي خطوة أو خطوتين
إلا وأجد لوحة إرشادية تدل وتوضح ؛ فهذا أمر في غاية العجب ، كثرة الدلائل والحجج والبراهين، ثم في
الوقت نفسه كثرة المنحرفين والزائغين والضالين ، فهذا أمر فيه مثار للعجب والتعجب، وفيه أيضاً دلالة على
أنّ الأمور بيد الله سبحانه وتعالى. الأمور بيد الله، الهداية بيد الله، الاستقامة بيد الله، صلاح العبد بيد الله،
توفيقه بيد الله، سلوكه للطريق القويم بيد الله، كلّ الأمور بيده تبارك وتعالى ، وقد سُئل أعرابيّ قيل له: بما
عرفت ربك؟ قال: "بنقض العزائم وحل المهمم" ؛ عرفت ربّي بهذا، أنّ عزمي على شيء أو همتي على أمر من
الأمور تنتقض، وأتجه إلى غيره وأنا عازم إلى أمر معين وإذا بي أتوجه إلى آخر ، فهذا يدل على أنّ الأمور
بيد الله تبارك وتعالى. وليس هذا معناه أن العبد لا مشيئة له ولا اختيار، بل للعبد مشيئة يدل عليها
النصوص في كتاب الله وسنة نبيّه عليه الصّلاة والسّلام ويدل عليها واقع الإنسان ، لو تأمل الإنسان واقعه

وحياته وأموره يجد أن عنده مشيئة واضحة، عنده مشيئة يختار بها طريق الخير وطريق الشر ، ومشيئة تحت مشيئة الله قال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

قال: ((غلط فيها كثير من أذكىاء العالم)) وهذا فيه دلالة على أنّ الذكاء وحده لا يكفي العبد في استقامة أموره وصلاح أحواله، فكم من ذكاؤهم مفرط وذهنهم وقاد وفهمهم قوي لكنهم يضلون {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: ٧]. تجده في غاية الذكاء ذكاؤه خارق ذكاء قوي جدا، لكن أهم أمر خلُق لأجله ووجد لتحقيقه ليس عنده منه خبر ، بل تُعرض عليه حجج واضحات ودلائل مقنعات فيرفضها ويأبأها ولا يقبلها ! لا لكونه لا يفهم ، بل هو ذكي يفهم أمور دقيقة وأمور عسرة الفهم تجده يفهمها، ثم يُعرض عليه أبين الأمور وأوضحها فلا يفهمها ولا تقبلها نفسه وتأبي قبولها.

قال: ((ومع ذلك غلط فيها كثير من أذكىاء العالم وعقلاء بني آدم)) وهؤلاء الذين وصفهم الشيخ رحمه الله بالذكاء هم في الحقيقة أوتوا كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «أوتوا ذكاءً ولم يؤتوا زكاءً، وأوتوا فهوماً ولم يؤتوا علوماً» ؛ فما أغنى عنهم ذكاؤهم ولا أغنت عنهم عقولهم ولا انتفعوا بها، وإذا كان عنده انتفاع بعقله فانتفاعه به محمود ينتهي بموته وليس لعقله ثمرة بعد موته؛ ولهذا يندم أهل النار غاية الندم لعدم استعمالهم لعقولهم فيما خلقت له وأوجدت لتحقيقه ويقولون نادمين: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: ١٠]. لكن فساد العقل وانحرافه يفضي بالإنسان إلى هذا الزلل.

قال: ((إلا أقل القليل)) أي أنّ أكثر الناس ضلوا في هذا الباب، قال تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف: ١٠٣]. وقال: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١٣] ، وقال: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦] والآيات في هذا المعنى كثيرة. فأقل القليل هم الذين هُتدوا إلى صراط الله المستقيم واستقاموا على الجادة السوية، وأكثر الناس ضلّوا عن سواء السبيل.

والمؤلف رحمه الله قصد بهذه المقدمة أن ينبّه طالب العلم على أهمية هذه الأصول الستة وعظيم مكانتها - هذا من جهة- وأن ينبّه طالب العلم على ضرورة إقباله الصادق على الله تبارك وتعالى أن يهديه وأن يثبت قلبه وأن لا يزيغه عن سواء الصراط، ومن دعوات النبي صلى الله عليه و سلم : ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))، ومن دعواته أيضاً: ((اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تصلني، فأنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون)).

وأراد أيضاً أن ينبّه على ضرورة العناية بهذه المسائل والعناية بضبطها وإتقانها، وأراد أن ينبّه أن الذكاء وحده لا يكفي إذا لم يُرزق صاحبه السداد والتوفيق من الله تبارك وتعالى، فلا يغتر الإنسان بما عنده من ذكاء وما لديه من نباهة ، فكم من ذكي لم ينتفع بذكائه ولم يستفد منه، وأراد أن ينبّه أيضاً على خطورة الشبهات

وأنها تُضر بالناس غاية الضرر لأنها تقلب الحقائق وتخلط الأوراق وتُردي بالناس وتُخل بالعقول وتفسد الأذهان، فالشبهات غاية في الخطورة، وإذا أصغى الإنسان للشبهة وأعطاهما سمعه أضرت بعقيدته ، أضرت بعبادته، أضرت بصلته بربه تبارك وتعالى. فهنا تنبيه من المصنّف لطالب العلم ألاّ يخاطر بدينه بسماعه للشبهات ومطالعة لها؛ لأنّ الشبهات خطيرة جداً وصاحب البدعة ملقنٌ حجته كما قال السلف رحمهم الله؛ أي يشبهه على الناس ويلبس عليهم، فمن أرخى لنفسه العنان في سماع الشبهات والإصغاء إليها أفسدت قلبه، ولا يقول الإنسان في هذا المقام: أنا عندي ذكاء وعندي عقل أميّز ولا تضّرني، فقد كان أئمة السلف وعلماء السنة رحمهم الله آتاهم الله عز وجل من العلم والفهم والذكاء وما كانوا يصغون إلى مجادل ولا يصغون لأرباب الشبهات وأهل الأهواء ولا يتيحون لهم الحديث في مجالسهم، حتى ولا نصف كلمة كما جاء عن بعضهم ، كل ذلك حفظاً للدين ومحافظة عليه وصيانة له من الزلل، فهذه كلّها أمور ينبه عليها المصنّف رحمه الله بين يدي ذكره لهذه الأصول الستة العظيمة .

قال رحمه الله تعالى :

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له ، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة ، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم ، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم .

قال رحمه الله : ((الأصل الأوّل: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له)) بدأ هذه الأصول بهذا الأصل العظيم لأنه أصل الأصول وبقية الأصول تبع له، واكتسبت أهميتها من جهتين : لأنها أصول تعين على تحقيق هذا الأصل ، فالمقصود أصالة هذا الأصل، وهو الغاية التي خُلق الناس لأجلها وأوجدوا لتحقيقها ، ثم الأصول الآتية هي أصول من جهة أنها معينة على تحقيق هذا الأصل الذي هو الإخلاص لله تبارك وتعالى.

((إخلاص الدين لله)) ومعنى الإخلاص لله تبارك وتعالى : أي أن يأتي العبد بالدين خالصاً لله جل وعلا ، أي نقياً صافياً لم يجعل مع الله تبارك وتعالى فيه شريك؛ لأنّ معنى الخالص في لغة العرب: أي الصافي النقي ، ما لا شائبة فيه تكدره. ويوضح لنا معنى الإخلاص من حيث اللغة قول الله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ} [النحل: ٦٦]. فقوله {لَبَنًا

خَالِصًا} وصف اللبن بأنه خالص، والمعنى أي صافي نقي، وأخبر تبارك وتعالى أن هذا اللبن الخالص قد خرج من بين فرث ودم، حتى قال بعض أهل الخبرة: إنّ خروجه من بين الفرث والدم يكون عند الحلب وفي وقته. ومن الدلائل على ذلك من حيث الواقع أنّ الناقة على سبيل المثال إذا أراد صاحبها حلبها يأتي إلى ثديها فيحلب لا يجد حليباً، فإذا قرّب ولدها منها ونظرت إلى ولدها عند ضرعها أدّرت الحليب ثم حلب، فيحلب من جهة وولدها يرضع من جهة أخرى، يخرج الحليب من بين فرث ودم صفته خالص، ومعنى خالص: أي لا ترى فيه نقطة دم ولا ترى فيه قطعة فرث وهو للتو خرج من بين الفرث والدم ولا ترى فيه قطرة دم ولا قطعة دم، صافي مصفى نقي منقى، أخرجه الله تعالى بهذه الصفة خالصاً، ثم جعله أيضاً سبحانه وتعالى سائغاً، مع علم الإنسان بمخرجه لكنه يستسيغه ويستلذه ويرى له طعمًا لذيذًا مع علمه من أين خرج. الشاهد قوله: { خَالِصًا } أي صافيا نقيًا، فالخالص: هو الصّافي النّقي الذي لا شائبة فيه، فاللبن لما لم يكن فيه نقطة دم وقطعة فرث خرج صافيا سمي بهذا الاسم أو وصف بهذا الوصف «خالصاً» أي صافيا نقيًا.

وقول الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة: ٥]، وقوله: { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } [الزمر: ٣] المعنى: أي الصّافي النقي. ما الدين الخالص؟ هو الدين الصافي النقي الذي لم يقصد به إلا الله، لم يُتَقَرَّبَ به إلا لله، فإذا دخل نية العبد في دينه وفي قرباته سوى الله جلّ وعلا، وقصد التقرب إليه خرج من الإخلاص لأنه لم يصبح صافياً، ولهذا كان الشّرك: عدل غير الله تبارك وتعالى بالله، فالمشرك خرج من الإخلاص لأنه عدل غير الله بالله وسوّى غيره تبارك وتعالى به في إعطاء غير الله من حق الله وتبارك وتعالى وخصائصه سبحانه، وهذا نقيض الإخلاص، الشّرك نقيض الإخلاص. ولهذا يمكن أن نعرّف الإخلاص بمعناه بحيث نقول: الإخلاص هو الدين الصافي النقي الذي لم يرد به إلا الله.

ويمكن أن نعرفه بنفي ضده، فنقول: الإخلاص هو الذي لا شرك فيه.

والشرك نوعان: نوعٌ ينافي التوحيد من أصله، ونوعٌ ينافي كماله الواجب.

❖ نوع ينافي التوحيد من أصله وهو الشرك الأكبر الناقل من ملة الإسلام؛ وهو تسوية غير الله بالله تبارك وتعالى فيما هو من خصائصه تبارك وتعالى. والشرك يقع في أنواع التوحيد الثلاثة: الشرك في الربوبية، والشرك في الألوهية، والشرك في الأسماء والصفات، فإعطاء غير الله شيئاً من خصائص الله في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته، هذا شرك أكبر ناقل من ملة الإسلام، والمعتك بين الأنبياء وأقوامهم هو في شرك العبادة، ما يتعلق بالإقرار بربوبية الله الغالب يقرّون بأنه الرب الخالق الرازق، ومن أنكر منهم أنكر على وجه المعاندة والاستكبار كما قال تعالى: { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ } [النمل: ١٤]، { لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [الإسراء: ١٠٢]. فغالبا جحد من جحد

عن استكبارٍ ومعاندة ، والمعتك في هذا الباب بين الأنبياء وأقوامهم في باب العبادة وإخلاصها لله تبارك وتعالى وعدم جعل الشريك معه فيها.

❖ والنوع الثاني: الشرك الأصغر: وهو كل ما جاء في النصوص وصفه شركاً ولم يصل إلى رتبة الشرك الأكبر الناقل من الملة ؛ كيسير الرياء ، وكشرك الألفاظ، مثل حلف الإنسان بغير الله ، وقوله ما شاء الله وشئت، وقوله لولا البط لأتانا اللصوص ، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية التي يصدر من الإنسان لفظها ولا يعتقد حقيقتها ومضمونها من تسوية لغير الله تبارك وتعالى بالله.

قال: ((الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له)) إخلاص الدين لله أي إخلاص تدين العبد لله وتدينه وتقربه لله بالأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات. إخلاص الدين لله: أي لا لغيره ؛ بأن يقع العمل من العامل مبتغياً به وجه الله سبحانه وتعالى ، لا يريد به إلا الله والتقرب إليه ونيل رضاه سبحانه وتعالى .

((إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له)) منبهاً المصنف رحمه الله بهذا إلى أنّ الإخلاص له ركنان لا يكون إلا بهما ؛ وهما: الإثبات والنفي. الإثبات في قوله: «وحده»، والنفي في قوله «لا شريك له» فلا يكون العبد مخلصاً إلا بالنفي والإثبات وهما ركننا التوحيد، والإخلاص قائم على ركنين الإثبات والنفي ، إثبات العبادة بكل معانيها لله وحده ونفيها عمن كل من سواه كما هو واضح في كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فإنها قائمة على هذين الركنين: النفي والإثبات، نفي عام في أولها وإثبات خاص في آخرها. ((لا إله)) نفي للعبودية عن كل من سوى الله، و((إلا الله)) إثبات للعبودية بكل معناها لله تبارك وتعالى وحده . فمن نفي ولم يثبت لا يكون موحدًا، ومن أثبت ولم ينفي لا يكون موحدًا، بل لا يكون من أهل التوحيد إلا بالنفي والإثبات، من نفي بدون إثبات قال «لا إله» واكتفى بهذه الكلمة دون أن يثبت الألوهية لله بعد نفيها عمن سواه فإن هذا إلحاد، قوله هذا إلحاد ، وعقيدة الملاحدة: "لا إله والحياة مادة" نفي لوجود الإله أصلاً. ومن أثبت ولم ينفي لا يكون موحدًا من قال: أنا أو من بأن الله معبود ولكن لا أنفي العبودية عمن سواه ؛ هذا لا يكون موحدًا بل هو مشرك.

فالتوحيد لا يكون إلا بالأمرين معاً : النفي والإثبات: «لا إله إلا الله». وقوله: ((وحده لا شريك له)) هذا تأكيد لركني التوحيد، أكد الإثبات بقوله: ((وحده)) وأكد النفي بقوله: ((لا شريك له)).

قال: ((الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له وبيان ضده الذي هو الشرك بالله)). يقول المصنف: الإخلاص بين في القرآن وضده أيضاً حُدّر منه. الإخلاص يُن ورغب فيه، والشرك بين وحُدّر منه في القرآن، وتنوعت الدلائل في القرآن في بيان الشرك وبيان خطورته والتحذير منه وسوء عاقبته على أهله ، وتمر في القرآن على آيات كثيرة فيها ذكر الشرك والتحذير منه وذمّ المشركين والتحذير منهم،

ولو أنك رجعت إلى بعض المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن عند كلمة (شرك) وتصريفاتها تجدها وردت في القرآن وروداً في مواضع كثيرة جداً ؛ ذمّا له وتحذيراً من أهله وبياناً لسوء عواقبهم في الدنيا والآخرة ، يمر عليك في هذا الباب آيات كثيرة جداً في القرآن الكريم ، هذا ما كان منها بلفظ (شرك) ، لكن أيضاً لو نظرت إلى الألفاظ الأخرى (ومن يدعو مع الله) هذا أيضاً تحذير من الشرك ولو لم تذكر الكلمة نفسها {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٥٦] ، {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر: ١٣] كلّ هذا ذمّ للشرك {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام: ١] ، {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٩٧ - ٩٨] هذا كله ذمّ للشرك، فالشرك ذمّ في القرآن بذكره بلفظه، وذكر أيضاً بألفاظ ومعاني وتقريرات أخرى، فبيّن بياناً وافياً واسعاً شافياً كافياً في كتاب الله عزّ وجلّ.

قال: ((وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى)) ؛ القرآن أكثره في بيان هذا الأصل من وجوه شتى، هذه الكلمة تفتح لك باباً شريفاً من العلم وأنت تقرّ القرآن، أعظم الأمور المبيّنة في القرآن ما هو ؟ التوحيد والتحذير من ضده وهو الشرك، وبُيّن في القرآن بياناً شافياً يفهمه أبلد العامة، لم يكتفِ بقوله: يفهمه العامة. يفهمه أبلد العامة واضح جداً ، وبأنواع من الأدلة ؛ فهذا يفتح لك باباً شريفاً من العلم وأنت تقرّ القرآن بحيث تنتبه للآيات التي تقرّر التوحيد وتحذّر من الشرك ؛ تنتبه لها وتفهمها لأنها أعظم شيء في القرآن ، أعظم شيء في القرآن الكريم آيات التوحيد والآيات التي تحذّر من الشرك؛ فكيف يليق بمسلم عاقل يمر عليها ولا يدري ما هي؟! ولا يفهم منها معنى ، أو يتجاهل عن معناها ، أو يعرض عن فهم معناها ، أو يرتكب المسلك الذي يرتكبه من ضلّوا عن سواء السبيل بالصدّ عن تدبّر القرآن - وهذا سيأتي الكلام عليه عند المصنّف - صدّ الناس عن تدبّر القرآن وفهم آياته ، وبعض العوام إذا ذكّر له آيات التوحيد والتحذير من الشرك يقول: "هذه آيات من القرآن، وفهم القرآن ليس لكل أحد" هكذا يقول! "هذه آيات من القرآن، وفهم القرآن ليس لكل أحد ، وإنما فهم القرآن خاص بالمجتهدين، والمجتهد صفته كذا وكذا ، ونحن لا نفهم ولا يجوز لنا أن نحاول أن نفهم" ، هكذا لبّس على كثير منهم أصبح يقرأ آيات التوحيد والآيات المحذّرة من الشرك ولا يحاول أن يفهم منها شيء ، ويبقى فهمه على ضوء ما قرّر له أشيأه.

وقد مرّ معي في بعض الكتب قصّة جميلة في هذا الباب: أحد الذين منّ الله عليهم بفهم التوحيد جلس مع رجل من العوام ثم وجده وقع في أمر شركي فنهاه عن الشرك وتلا عليه آية من القرآن . والآيات التي في القرآن في التحذير من الشرك كثيرة . فتلا عليه آية إما قول الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [النساء: ٤٨] ، أو { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأحقاف: ٥]. تلا عليه آية في التحذير من الشرك، فقال له ذلك الرجل: لم تذكر لنا آيات القرآن؟

ولماذا أيضاً تستشهد بالقرآن وأنت لست من أهل الاجتهاد؟ القرآن والاستدلال وذكر الشواهد منه هذا لأهل الاجتهاد وأنت لست من أهله ، ومثلي ومثلك لا يمكن أن نذكر الآيات ونستدل بها، فردّ كلامه بهذه الطريقة ، فالرجل سكت ولم يتكلّم معه، ثم انتظر بعد قليل وكانوا في بيت ذلك الرجل، فجاءت ابنة صغيرة لذلك الرجل قال له هذا الرجل: من هذه؟ قال: هذه ابنتي عمرها ست أو سبع سنوات. قال: لماذا لا تتزوجها؟! قال: اتق الله! هذه بنتي، كيف تقول هذا الكلام؟! قال: لماذا لا تتزوجها؟ إيش المانع؟! فغضب الرجل، قال: ما سمعت قول الله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ} [النساء: ٢٣]. قال له : لا، هذا قرآن!.

فلاحظ الآن صاحب الهوى لما يؤتى له بالدليل الذي يرد هواه وباطله يمتنع بهذه الشبهة، لكن إذا تحدّث في الأمور الأخرى التي يرتضيها تجده يستدل بالقرآن، إذا قرئت عليه آيات الشرك ردّها بطرق عديدة، وإذا تليت عليه آيات في الأخلاق أو في الآداب أو في المعاملات أو في أمور أخرى يتقبلها، أما آيات الشرك فلما قام في قلبه من الشبهة التي صرفته عن التوحيد وجرفته عنه يمتنع من قبول الآيات . ودعاة الضلال وضعوا في هذا الباب قاعدة سيأتي ذكرها عند المصنّف والتنبيه على خطورتها في أصل قادم. قال: ((وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة))

((ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار)) مراده بقوله «صار أكثر الأمة ما صار» أي من الجهل بالدين ودروس العلم وقلة الفهم بكلام الله وكلام رسوله عليه الصّلاة والسلام وتكاثر الشبهات على الناس ((لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم)) انظر إلى مكر الشيطان بهؤلاء ؛ أظهر لهم الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، وأنّ المخلص الذي لا يريد أن يُقصد بالعمل إلا الله تبارك وتعالى يقولون في حقّه هذا لا يعرف قيمة الصالحين، ولا يعرف مكانتهم، ولا يعرف جاههم، ولا يعرف فضلهم، وليس عنده للصالحين قدر، وربما قالوا: هذا لا يجب الصالحين، وربما ارتقوا أيضاً وقالوا: هذا يشتم الصالحين ويسبّ الصالحين، وهكذا يأتي ركام من الكلام الباطل الذي هو من مكر الشيطان بهؤلاء .

قال: ((أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم)) بمعنى: أن الذي لا يذهب إلى القبر متوجّهاً إلى صاحبه ملتجئاً إليه باكيّاً بين يديه متذلّلاً منكسراً بزعمهم من لا يفعل ذلك لم يعرف قيمة هذا الصالح، وأصبحت معرفة مكانته ومعرفة قدره عند هؤلاء ارتبطت بماذا؟ بالشرك ، فلا يعرف قدر الصالح إلا من جعله شريكاً لله، هذا بزعمهم. أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم؛ من لا يستنجد بهم، من لا يستغيث بهم، من لا يذبح لهم، من لا ينذر لهم، من لا يصرف لهم من أنواع العبادة هذا يتنقصهم ولا يعرف أقدارهم ، هذا بزعم هؤلاء الذين مكر بهم

الشيطان.

أيضا ((وأظهر لهم الشرك في صورة محبة الصالحين واتباعهم)) بمعنى : أن الذي يقوى فيه التقرب إلى الصالحين بما لا يُتقرب به إلا إلى الله سبحانه وتعالى، هذا محبٌ لهم وعرف قدرهم ، وأما من سواه فهو لا يعرف قدر الصالحين ولا يحب الصالحين ، بهذا المكر ضل أكثر الناس عن سواء السبيل ، مع أنه لا ارتباط بين الأمرين ! باب الإخلاص هذا حق لرب العالمين ، ومحبة الصالحين ومعرفة أقدارهم لا يرتبط بها لا من قريب ولا من بعيد إعطاؤهم شيء من خصائص الله ، ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام مع بيانه للتوحيد سد كل المنافذ التي تفضي إلى الشرك ، سمع رجلاً يقول: "ما شاء الله وشئت" قال: ((أجعلني لله ندا، بل ما شاء الله وحده)). ولما جيء بذاك الأسير إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: "إني أتوب إلى الله، ولا أتوب إلى محمد". قال عليه الصلاة والسلام: ((عرف الحق لأهله)). ولما جاء ذاك الوفد إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالوا: "أنت سيدنا وابن سيدنا" قال: ((قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجريكم الشيطان)) ، وقال: ((إني لا أحب أن تنزلوني فوق منزلي التي أنزلي الله إياها))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله))، وقال وهو في النزع عليه الصلاة والسلام: ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن شرار الخلق عند الله يوم القيامة الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد)). وجاء عنه في هذا الباب أحاديث كثيرة جداً، لما سمع المرأة تنشد وتقول: "فينا رسول الله يعلم ما في غد" غضب وقال: ((لا يعلم ما في غد إلا الله)). فهو عليه الصلاة والسلام بين التوحيد وحذر من الشرك وحمل حصى التوحيد وسد الدرائع التي تفضي بالناس إلى الشرك ، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨] . بين عليه الصلاة والسلام البيان الوافي، ومع هذا البيان ووضوح هذا الأمر وجلاته وعدم خفائه إلا أن أكثر الناس ضلوا في هذا الباب عن سواء السبيل ؛ بسبب الشبهات ، وبسبب مكر الشيطان بهؤلاء، وبسبب إصغائهم لدعاة الضلال والباطل ، وبسبب أيضاً نشأتهم في مجتمعات لا يسمعون فيها إلا صوت أهل الشبهات، يعني بعض العوام نشأ في مجتمعات ليس فيها إلا صوت أهل الشبهات، لا يسمعون صوت من يدعو إلى التوحيد.

ولا أنسى قصة مرت عليّ مع شخص كان جالساً إلى جنبي في المسجد بعد صلاة المغرب منذ سنوات ليست قليلة، وكنت أقرأ القرآن وكان ماداً يديه يدعو، ثم ازداد في اجتهاده بالدعاء فأصبح له بكاء وتسمع نشيجه وهو يبكي ؛ فأثّر فيّ خشوعه، ثم رفع صوته قليلاً في دعائه فإذا به يقول في دعائه: "يا رسول الله" يبكي وخاشع ومتذلّل يقول في دعائه: "يا رسول الله" ويعرض حاجاته ، باكياً خاشعاً متذللاً ويعرض حاجته يا رسول الله عليه الصلاة والسلام مستغيثاً مستنجداً، فتحدثت معه طويلاً ، بدأت حديثي معه أولاً بسؤاله عن صحته وعن بلده وعن أولاده وعن سفره وعن أمور عديده، ثم لما اطمأن للحديث معي انتقلت

إلى جانب آخر وهو أهمية الدعاء، وقلت له: الدعاء عظيم ومكانته في الدين عظيمة وأخذت أسوق له آيات وأحاديث عديدة في فضل الدعاء ، ففرح بها لأنه كان يدعو، وأخذت أذكر له آيات وأحاديث في فضل الدعاء ومكانة الدعاء، ثم التفت إليّ وأنا أحدثه عن فضل الدعاء ومكانته ، وكأن الرجل كانت عنده مشاكل أو هموم أو حاجات ويكيي يريد من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يكشفها عنه ويجليها، فأخذت أذكر له آيات في فضل الدعاء، ثم انتقلت إلى حديث آخر أبيّن فيه أنّ الدعاء حقٌّ لله سبحانه وتعالى، وقلت له هذه مسألة بُيِّنَتْ في القرآن بياناً واضحاً لا خفاء فيه، وأخذت أذكر له آيات عديدة كقوله تعالى: { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } [فاطر: ١٣ - ١٤] وقوله: { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } [الإسراء: ٥٦] ، وقوله: { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } [سبأ: ٢٢]، وقوله تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } [الأحقاف: ٥] . وآيات في هذا المعنى عديدة، ثم انتقلت إلى السنة وبدأت أذكر له أحاديث ، وكل ذلك وهو يصغي إليّ، ثم ذكرت له أمثلة من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام، قلت له: كان إذا أوتي له بمريض كما في حديث عائشة قال: ((اللهم ربّ الناس اذهب البأس واشف أنت الشافي))، وكان إذا خرج عليه الصلاة والسلام من بيته قال: ((اللهم إني أعوذ بك أن أضلّ أو أُضَلّ، أو أزلّ أو أُزَلّ))، وكان إذا وضع جنبه على فراشه قال: ((اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك))، وذكرت له نماذج واضحة لا لبس فيها يفهمها العامي فضلاً عن غيره ، انتهيت وهو يسمع بكل إصغاء وإنصات . فلما انتهيت أحببت أن أطمئن هل الرجل فهم أو لم يفهم؟ هل استوعب هذه الآيات أو لم يستوعبها؟ فطرحته عليه سؤالاً ، السؤال في حدّ ذاته خاطئ لكنني قصدته من أجل الاطمئنان ، لما انتهيت قلت له: ما رأيك في هذا الكلام؟ فقال لي كلمة عجيبة ذكّرتني بكلمة للإمام الشافعي رحمه الله ، قال لي كلمة عجيبة! قال لي: "تقول لي ما رأيك؟ وأنت تقرأ عليّ آيات وأحاديث؟! " هذه ذكّرتني بكلمة للشافعي رحمه الله؛ سئل مرة عن مسألة فأجاب فيها بحديث، فقال له السائل: وما رأيك؟ فغضب رحمه الله قال: «هل رأيته معلقاً الصليب على صدري؟ هل رأيته زجاجة الخمر في يدي؟ أقول لك: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، وتقول: ما رأيك؟ » يعني هذا الكلام ما يليق.

فالرجل قال لي: "تقول لي ما رأيك؟ وأنت تقرأ عليّ آيات وأحاديث؟! " فأعدت عليه السؤال نفسه، قلت: نعم لازلتُ عند سؤالي: ما رأيك؟ لأنني سمعتك تقول في دعائك: كذا وكذا ، فأقصد بقولي: ما رأيك؟ هل أنت هذه الآيات استوعبتها وقبلتها؟ أم أن لك رأياً آخر خلاف هذه الآيات؟ فقال لي كلمة أخرى أعجب من الأولى! قال لي: أنا من بلد كذا وكذا . سمى لي بلده . ما أحد قال لي الكلام هذا! كلمة قويّة ،

قال " أنا من بلد كذا وكذا ما أحد قال لي الكلام هذا!" ماذا تعني هذه الكلمة؟ كلمة مؤلمة تعني أنه مسكين نشأ في بلدة إذا سمع الخطيب يوم الجمعة عرض له شبهات في هذا الباب، وإذا حضر درساً أيضاً عُرضت عليه شبهات في هذا الباب، وإذا قرأ كتاباً في الكتب التي حوله تعرض عليه شبهات في هذا الباب، ثم ينشأ ويكبر ويكبر ولا يسمع إلا الشبهات ، وآيات التوحيد التي هي واضحة حُجب عنها وغُيِّبَتْ عنه ، وأيضاً حُذِّر من فهمها بقواعد، وسيأتي كلام المصنف لاحقاً عن هذا الأمر .

فهذا أصل الأصول وأعظمها ، وبُيِّن في القرآن بياناً وافياً يفهمه أبلد العامة ؛ ومع ذلك ضلّ فيه أكثر الناس !